# أبوالبقاء الرندي ومكانته الشعرية والعلمية

## Abu Al-Baqaa Al-Randi and his poetic and scholarly standing

**د.سلمى شاهدة**

الأستاذ المساعدة بالجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد–باكستان

salmashahida@numl.edu.pk

**Abstract**

Al-Randi is one of the flags of Arab thought in Andalusia. The poet's nickname differs in translated sources. He was born in Randa, one of the ancient cities of Takarta. The biography books did not mention anything about his family except that he lamented his son, wife and father in a number of his poems and it seemed that he had more than one brother. Translated sources had unanimously agreed that he was a poet, a jurist, a pious, humble and pious of soundness and reason. Al-Randi was known for his culture in various sciences, as he was proficient in literature and arts, jurisprudence and criticism, as well as history, and six sheikhs directly influenced his personality and culture, as he took from them his sciences and literature.

And it was said that he was the culmination of Andes writers, he was skilled at disposing of the system of speech and its prose, he was an artist in great sources, and that he had three sources of his culture, religious origins, historical and literature origins. The linguistic culture in his poetry was an indication of his exploration of Arabic sciences and the breadth of his culture, as well as his ability to invent his systems of riddles in prose. Al-Randi was not far from the writers of his era, but rather had a strong connection with them. Al-Randi died at the age of eighty-three. Only seven of his books are known, five of them are missing, while the others are Al-Wafi in Systems of Rhymes, which aims to form an idea about criticism for the reader, as well as dealing with poetry. Al-Randi occupied a prominent place among the writers of his era, and he received the attention of late writers and critics. He won the approval of his contemporaries.

قد دام حكم العرب للأندلس مدة تزيد على ثمانية قرون ، أرسوا خلالها حضارة عريقة في تلك البلاد القصية عن أرض الأهل والأجداد. ولما تزل شامخة الى يومنا هذا. وتعد محطة إشعاع أنارت ظلمة الجهل في أصقاع العالم المختلفة. وعلى الرغم من أفول نجم العرب والمسلمين في الأندلس، وفقدانهم مقاليد الحكم هناك ، بقي تراثهم الفكري خير شاهد على إبداع العقلية العربية في شتى ميادين العلم والمعرفة. ولم يزل الكثير من تراثنا الحافل بالأمجاد والمآثر مهملاً، ومن هنا وجب أن تسعى الجهود المخلصة من ورثة هذا التراث الى نفض الغبار عن تلك الكنوز الثمينة ، وتكشف النقاب عن أعلام الفكر والأدب. والرنديّ واحد من أعلام الفكر العربي في الأندلس.

**اسمه:**

شابن[1]شريف [2]. عاش في القرن السابع الهجري [3]، ولم تختلف كتب التراجم والكتب المعنية بالأدب في ترجمته. وقد ذكر الرّندي اسمه حين أورد خبراً في كتابه (الوافي في نظم القوافي) في باب (الإطراد) من محاسن الشعر وبديعه قال[4] فيه : " وكتب الي صاحبنا الوزير الأديب أبو العباس بن بلال الجزيري رحمه الله تعالى".

**ألمِمْ إذا شئت تحضـــى بصالحٍ وشَريـــفِ**

**بصالحِ بن يزيدٍ بـــ ـن صالحِ بن شريـــفِ**

ومن خلال ذلك نلحظ أن هذا الوزير نظم أسماءه كما نظمتها كتب التراجم . وسمّاه أحد الباحثين المحدثين ( ابن الرندي )، وهي تسمية يصح اطلاقها على ابن الشاعر[5].

**كنيته :**

تختلف كنية الشاعر في المصادر التي ترجمت له بين ( أبي البقاء) كما في نفح الطيب[6]، والوافي في نظم القوافي [7]،و (أبي الطيب ) كما في الذيل والتكملة وأزهار الرياض والإحاطة [8].

فيبدو أن للرندي كنيتين هما أبو الطيب ، وأبو البقاء ، ولكن الثانية منهما أشهر وأيسر [9]، ويرجح الدكتور محمد رضوان الداية ان كنيته ( أبا الطيب ) كانت الأشهر في زمانه[10]. وقد ذكر الشاعر كنيته صراحة عندما نظم قصيدة إعتذر فيها لأحد الأمراء النصريين المسمى أبا سعيد بن نصر فقال [11]:

*منكَ القبولُ ومنّي اليومَ مَعْـذرَةٌ* **الى عُلاك ولا ذَنبَ ولا لَـمُ**

**أنا أبو الطيّب الثاني لُمُنتقـدٍ وأنتَ سَيفُ المعالي الأوحدُ العَلـمُ**

والمرجّح أن له كنية ثالثة ، فقد كناه صاحب الذخيرة السنيّة بـ( أبي محمد )[12] ، ويتضح من خلال ذلك أن للشاعر اكثر من كنية أوردتها لنا المصادر المختلفة.

**ولادته ونسبه**

أول إشارة إلى تاريخ ميلاده ما نقله لنا لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ)،في كتابه (الإحاطة) أنه ولد في المحرم سنة احدى وستمئة[13]،وينتسب الى قبيلة نفزة، وهي من قبائل البربر ، وقد تنسب الى حِمير[14]، وينتمي الى مدينة ( رُندة ) ، فهو رُنديُّ [15] المولد .

ورُندة " من مدن تاكُرُنّا، وهي مدينة قديمة فيها آثار كثيرة ، وهي على نهر ينسب إليها "[16].وجاء في معجم البلدان أنها " معقل حصين ... وبها زرع واسع وضرع سابغ .. وأنها حصن بين إشبيلية ومالقة"[17].

وقال عنها حسين مؤنس في رحلته الى الأندلس : " ورندة – أي المستديرة – بلد عجيب يقوم على قنة جبل منازله معلقه على حافة الهاوية تعليقا كانها بنيت؛ لتكون حصنا "[18]، وتعد رندة من القواعد الأندلسية التالدة ، ومن أهم وأشهر مدن مملكة غرناطة بعد أن استقر الحكم العربي الاسلامي في رقعة

ضيقة كانت رندة من ضمنها ، وتمتاز بموقع طبيعي رائع فهي تقع فوق منطقة من الربى المرتفعة وتحيط بها الوديان السحيقة ، ولما تزل تحتفظ بطائفة مهمة من الآثار الأندلسية ، كالقنطرة العربية ، والحمامات والمنارة ، وقصر ابن مالك ،ومنزل الملك العربي[19]. ورُندة مدينة مهمة " ترجع أهميتها وشهرتها الى مدة حكم العرب ، "وفي سنة 1485م-( جُمادى الأولى سنة 890هـ ) أستردها الملك فرناندو من المسلمين نهائيا"[20] وبعد سقوطها وفي اثناء سقوط غرناطة رثاها شاعر مجهول بقصيدة قال [21] فيها :

**أحقاً خبا من جوّ رُندةَ نورُهـا وقد كُسِفتْ بَعدَ الشُّموسِ بدُورها**
**وقَد أظلمت أرجاؤُها وتَزلْزلتْ منازلُها ذاتُ العُلا وقصورُهـا**
**أحقا خليليَّ إنَّ رندة أقْفَـرَتْ وأُزعِجَ عنها أهْلُها وَعشِيرُهـا**

وقد اكد الرندي انتماءه لهذه المدينة العريقة فيما أورده من أخبار في كتابه الوافي فيها ما يشير الى ذلك ، ففي إحدى رسائله التي رفعها الى أمير بني نصر محمد الفقيه (ت 701هـ) وكان وليا للعهد معزيا بوفاة السلطان محمد الاول (ت671هـ) مؤسس مملكة غرناطة، وذكر أنه بعثها من رندة، زد على ذلك أنه ذكرها في احدى قصائده التي كان قد القاها وهو في مراكش ، يتشوق فيها الى الأندلس، ويصف رندة ويؤكد انها بلدته ، وأن أهلها أهله قال [22]:

**بلِّغ لأندُلسَ السلام وصِف لهـا مابي من أشواقٍ وبُعدِ مَـزارِ**
**وإذا مررتَ برُندة ذات المُنـى والرَّاح والزّيتون والأزهـارِ**
**سلِّم على تلك الدِّيار وأهلِهـا فالقومُ قَومِي والدِّيارُ ديـاري**

**أسرته :**

لم تذكر لنا كتب التراجم شيئا عن أسرته ، ولم يعرف من آشتهر من أسرته من بعده – غير اني عثرت ومن خلال شعره ، ومما هو في غرض الرثاء على اسم لأحد أبنائه ، وكان يدعى (محمد) وكنيته (ابو بكر) ذكره الشاعر في أكثر من بيت في مرثياته له ، وقد توفي صغيرا وهو إبن ثمان سنوات قال [23]:

**بنيَّ أبا بكر بنيّ أبا بكـر وماذا عسى يغني التعلّل بالذّكـر**
**محمد ما أشجى فراقك لوعـة محمد ما أدهى مصابك من أمـر**

وقد ذكره صاحب الذخيرة السنية حين ترجم للشاعر [24]. أما زوجته فقد رثاها في
احدى قصائده [25] ، ولم يصرح بذكر اسمها . وكما يبدو أن للرندي أكثر من أخ ، فقد ذكر لنا لسان الدين بن الخطيب ( ت 776هـ)، في كتاب (الإحاطة)[26] عند ترجمته للشاعر أخاً اسمه (خالد) وله قصيدة في رثاء والده أشار فيها الى أحد اخوته واسمه (حسن)، قال[27]:

**حقّا أحبتنا أودى أبو حسـنٍ مهلا بنا (.....) كـذب**

أما والداه فقد ذكرهم في قصيدة رثى فيها الأول ، قال [28]:

**أما كفى الدّهر من فقدي لوالدتي حتّى يضاعف لي غما بفقد أبي**

هذا ما عثرت عليه من أسماء للأسرة التي ينتمي اليها الرندي من خلال ما أورده في شعره ومؤلفاته، ومما ذكر في كتب التراجم وكتب الأدب ، وقد سبق أن أشـار

الدكتور الطاهر مكي أنه لم يقف على أية معلومات عن الشاعر وأسلافه وبنيه[29].

**شخصيته واخلاقه :**

ولد الرندي في أوائل القرن السابع الهجري ، ومن خلال استقرائنا لواقع العصر الذي عاش فيه ندرك أنه شهد مرحلة امتازت بكثرة الاضطرابات والفتن. فقد ولد قبيل وقعة العقاب (609هـ) سيئة الصيت ، فتوالت على إثرها المحن والكروب على الأندلس ،وعمّت الفوضى ، واقتطع الكثير من رقعة الدولة الإسلامية هناك، وفي تلك الحقبة نشأ الرندي وترعرع وصار شابا، ولم تُحِطنا كتب التراجم أو المهتمة منها بالأدب والتاريخ علما بأيام طفولته وشبابه ، ولم تتحدث عن علاقته بمحيطه الخارجي ، ولم تشر الى أيّة علاقة له بخلفاء العصر الموحدي .

لكنني ألمس في المتبقي من أشعاره ومؤلفاته ، وما وصفه به أدباء عصره وفيما أسبغوه عليه من صفات ، مايمنحنا تصورا واضحا لأخلاقه وتدينه ، فاغلب المصادر التي ترجمت له تجمع على أنه شاعر وأديب وفقيه ، وقد أسبغ عليه معاصروه من الصفات الخُلقيّة الطيبة ما يؤكد انه كان حسن السّمعة ،كريم الخلق . ففي ترجمة إبن الزبير له قال [30]: " وكان في الجملة معدوداً من أهلِ الخَير ، وذوي الفضل والدّين "، وقال[31] إبن عبدالملك فيه: " وكان خاتمة الأدباء بالأندلس ، بارع التصرّف في منظوم الكلام ومنثوره ، فقيها ، حافظا ، فرضيّا ، متفننا في معارف جليلة نبيل المنازع متواضعاً ، مقتصداً في أحواله ".

ومن ديباجة كتابه (الوافي في نظم القوافي) التي جاء فيها : " قال الشيخ الجليل الفقير القاضي أبو الطيب صالح ..."،[32] رجّح الدكتور محمد عبدالله عنان محقق (الإحاطة) أن أبا البقاء قد تولى منصب القضاء[33]. ومعروف أن هذا المنصب من المناصب التي لا تسند إلا لمن عرف بصلاحه وتقواه .

ومما يدل على ورعه وتدينه القطع الباقية من أشعاره ، فمن شعره في غرض التوحيد قوله [34]:

**ما بالنا نغترّ بالأذهـــان ونغرّها بمطالب البرهـــان**

**ونقيس كي ندري لكلّ علـّة ونروم شيئاّ ليس في الامكـان**

**ونروم معـرفة الإله وإنّمـا نبغي الكمال بغاية النقصـان**

**ونريد نفهم سره في عالـم لو شاء كان على نظام ثـان**

**ومن المحال تصوّر الانسان مـا منعته قوة عالم الانســان**

**ما في الوجود إذا أردت حقيقـة إلا الإله وكلّ شيءٍ فــان**

وله من مقطوعة أخرى[35] في الغرض نفسه .

**أشار إليك جميع الوجــود بأنّك أوجدته من عــدم**

**وقام بأمرك من غير شــيء ولولاك ياسيدي لم يقــم**

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الشاعر كان متدينا من ذوي الفضل معدودا من أهل الخير عفيفا متواضعا تقيّا من ذوي الرجاحة والعقل .

**مصادر ثقافته:**

عرف الرندي بثقافته الواسعة في مختلف العلوم ، فقد كان بارعا في الأدب وفنونه ، وفي الفقه والنقد والتأريخ . وهذا يعني أنه أخذ هذه العلوم عن شيوخ أجلاء تتلمذ لهم، ولازمهم في مجالس دروسهم وإقرائهم ، فآستكمل ثقافته وثبت على قدم راسخة في العلوم والفنون التي تلقاها، حتى أصبح من أصحاب الفضل والمكانة بشهادة معاصريه . أما شيوخ الرندي فهم من أعلام العصر في مختلف الفنون . وفيما يأتي تعريف بشيوخه البارزين ، ممن ذكرتهم كتب التراجم والكتب المعنيه بالأدب الذين أخذ عنهم أدبه وعلومه ، وأثروا تأثيرا مباشرا في انضاج شخصيته وآستكمال ثقافته :-

1. يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف ، والد الشاعر قال ابن عبدالملك : " روى عن آباء الحسن أبيه "[36]، وجاء في ديباجة كتاب (الوافي في نظم القوافي) :" أبو الطيب صالح بن الشيخ الأجل المكرم أبي الحسن"[37] فقد كان كما يبدو عالما وشيخا جليلا،وهو من أوائل شيوخ الشاعر وله الفضل في تربيته وتعليمه .

2. علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن قطرال [38] الأنصاري ، يكنى أبا الحسن، من أهل (أبدة) في مدينة جيّان ، ولد سنة (562هـ) ، روى عن كبار علماء عصره وولي القضاء بقرطبة وبلنسية وشاطبة ، وكان عالما جليلا وقاضيا عادلا، توفي في جمادى الأولى من عام (651هـ).

3. العلامة أبو الحسن علي بن جابر بن الدبّاج الإشبيلي[39]، ولد سنة ( 566هـ)، وتتلمذ على يد كبار علماء العربية ، وكان من أهل الفضل والصلاح ، وأستاذا في القراءات ، محدثا ، متقدما في العربية والآداب ، وله نظم قليل أجاد فيه ، توفي سنة (646هـ) .

4. علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبدالرحمن بن هيضم الرعيني ، أبو الحسن ابن الفخّار[40]. ولد بإشبيلة سنة (592هـ) ، وكان حافظا للفقه والآداب مقرئا ، بارعا في نظم الكلام ونثره ، عمل قاضيا في

(رُندة) والجزيرة الخضراء ، وهو أحد كتاب (محمد بن يوسف بن الأحمر) مؤسس مملكة غرناطة ، توفي سنة (666هـ).

5. أبو القاسم بن الجد التونسي [41].

6. علي بن عبدالرحمن بن برقون[42]، من أهل بلنسية وكان من أهل العلم .

هؤلاء هم أبرز شيوخ الرندي الذين أخذ عنهم علومه وأدبه وكان لهم الفضل في بلوغه المكانة المرموقة التي احتلها بين أدباء عصره بعد أن صقلوا مواهبه ، ورفدوه بمختلف العلوم ، حتى تفجرت فيه ينابيع العلم ، فكثر نتاجه العلمي والأدبي، وطارت شهرته في أرجاء الأندلس ، وصارت أعماله تتردد على ألسنة عامة الناس، وهكذا فتح له التاريخ أوسع أبوابه ونقش إسمه الى جانب أسماء كبار الأدباء في سفرهم الخالد .

والمرجّح أن الرندي تلقى علومه وأستكمل ثقافته في مدينة (رُندة) على يد شيوخه في نشاته وشبابه ، أما المرحلة الثانية من حياته التي اتصل فيها بملوك غرناطة ، فإنّه كان فيها أستاذا كبيراً وشيخا جليلا ، تدل على ذلك أخباره ومجالسه الأدبية ومحاوراته ومناظراته الشعرية مع أصحاب له وشيوخ ذكرهم في كتابه (الوافي في نظم القوافي).

**ثقافته من شعره**

بعد أنْ عرفنا أبرز شيوخ الشاعر ممّن كان لهم الفضل في تأديبه وإعلاء شأنه ، لابدَّ أن نطلع على أهم مصادر ثقافته بعد أن تلقى علومه ونهل من عذب المشارب ، فمن الطبيعي أن يكون قد أحاط إحاطة كاملة بمختلف فنون عصره ومعارفه ، ولاسيّما، علوم القرآن ، والحديث الشريف ، والفقه والأدب والنقد والتأريخ .

فقد وصف المراكشي تعدد مواهبه وتمكُّنه من مختلف المعارف بقوله[43]: "كان خاتمةَ الأُدباءِ بالأندلسِ، بارعَ التصرُّفِ في منظومِ الكلامِ ومنثورِهِ ... متفنناً في معارفَ جليلةٍ ". وقد تركت ثقافته الواسعة أثرا واضحا في شعره ونثره ، ولاسيما علوم القرآن التي شكلت الروافد الرئيسة لهذه الثقافة ، فضلا عن أثر المعارف التي نلمحها في شعره . وأستطيع أن أعيّن المنابع التي نهل منها الشاعر ثقافته ، وتحديدها وإرجاعها إلى الأصول الآتية :

**الأول : الأصول الدينية**

يمثل الموروث الديني مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري ، ويمثل تراثنا الإسلامي ينبوع ثقافتنا الإسلامية المتمثل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف — فهما ينمازان ببلاغتهما — التي تعد مادة تعبيرية يستمد منها الشعراء والكتاب العبارات العذبة الفصيحة التي يحتاجونها في أغراضهم الأدبية ، مستفيدين مِمّا جاء فيها من قصص وأحداث وأسماء وشخوص دينية ومواقع وغير ذلك .. وعدُّوها رموزا ذات دلالات تلبي

حاجتهم وتعينهم على التعبير عما يدور في أذهانهم من أغراض تربوية وإرشادية ، وأستدلّ على تبحر الشاعر في هذا الأتجاه كون شعره ثمرة جذورها هذه الأصول بما أورده في أغراض شعره المختلفة ، من إشارات توحي بعمق ثقافته الدينية ، ومنها قوله [44] مقتبسا من القرآن الكريم :

**تزلزلت الأرض زلزالهـا فقلت لسكّانها مالهـا**

**فقالوا أتانا أبو عامـــر فأخرجت الأرض أثقالهـا** [45]

ولم يكن الشاعر موفقاً في هذا الاقتباس فهو لم يأت عفوياً فضلاً عن ظهور الصنعة الشعرية واضحة فيه.

وقوله [46]، مشيرا الى مضمون الآية الكريمة : ﴿كل من عليها فان ﴾ [47].

**ما في الوجود إذا أردت حقيقـة** *إلاّ الآله وكلّ شيء فـان*

وقوله [48]مستلهما قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ [49].

**وأنت العروة الوثقى تمامـا** *وما للعروة الوثقى انفصـام*

وقوله [50] يصف الليل ونجومه ويصف القمر في إحدى منازله:

**كأنّ عنقوداً تثنّى بـــه إذ صار كالعرجون عند السّرار**

فتشبيهه لصورة القمر مأخوذة من قوله تعالى: ﴿والقمر قدرنه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [51].

وهكذا تظهر لنا هذه النماذج تأثر الشاعر بالقرآن الكريم وألفاظه ومعانيه، فقد كان له نبراساً يستقي من فيض أقباسه النورانية؛ لتكون معينا في بناء أشعاره أملا منه في الوصول بنتاجه الأدبي إلى أعلى درجات الرصانة والبلاغة والرقي ، وأنه كان موقتا بما تحدثه الألفاظ القرآنية في نفس المتلقي من تأثير يجعله يطيل النظر في أشعاره . ومن صور التأثر بالقرآن الكريم استحضار القصص القرآني في شعره و لاسيما قصة النبي يوسف عليه السلام، التي نالت إعجاب الشاعر ، ووجد فيها ما يشبه حالته بتعلقه بمحبوبه بقوله [52]:

**فكأنّما هو يوسف في حسنـه وكأنني في حبّه المجنون يعقـوب**

ومن خلال ذلك نجد أن الشاعر قد أفاد من ثقافته القرآنية ووظفها خير توظيف في شعره مما يدلُّ على ثقافته الواسعة بخير كتاب أنزل على الملأ.

ويعد الحديث النبوي الشريف مشربا من أعذب المشارب بعد كتاب الله العزيز التي ينهل منها الشعراء ، لما فيه من النصح والإرشاد ، والحكم والمواعظ، وكان الرندي ممن نهل من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قوله : [53]

**ألا فتوخَّ بعدي من أواخـي ودع ما لا يريب لما يريــب**

وقوله [54] من قصيدة يرثي فيها ولدا له .

**ولما نعاه ليلة السّبت بالعـلا نواعب بين لم يطوقن بالفجـر**

**وضعت على قلبي يدي تألمـا فخيل لي أنّي قبضت على الجمـر**

**ثانيا : الأصول الأدبية**

حفلت دواوين الشعر بالعديد من أوجه التشابه في بعض مواضع الشعر لدى الشعراء وعلى مر العصور ، ولا شك أنها ظاهرة واضحة للعيان ، إذ يتأثر اللاحق بمن سبقه ، فلابد لثقافة الشاعر وسعة إطلاعه وإدامة النظر في دواوين الشعر أو الحفظ منه أن تترك أثرا في تداول الشعراء للمعاني والصور والتراكيب الأدبية واشتراكهم فيها، فنجد شاعرا متأخرا ينسج على منوال شاعر متقدم ، فيتشابه كلا العملين الأدبيين .

ومن خلال إنعام النظر في شعر الرندي وجدت أنه وثيق الصلة بمن سبقه من الشعراء، وعلى مختلف العصور ، فقد كان واسع الإحاطة بما جادت به قرائح الشعراء ولاسيما المجيدين منهم ، وجاءت معانيه تحمل دلالات واضحة تؤكد صلته الوثيقة بالموروث الشعري . وقد انعكس ذلك في شعره بشكل جلي ، فهو يأخذ من الشعراء ويضمن شعره من أشعارهم على مر العصور ، أمثال أمرئ القيس (ت 84 ق.هـ) وزهير بن أبي سلمى ( ت 610م ) والمتنبي ( ت 354هـ) ، كما أنه يذكر أسماء شواعر في قصائده مثل الخنساء ( ت 24هـ) .

وكان الشاعر يقلدهم في أشعارهم ، فهو قد يضمن شعره شطرا من بيت شعري لشاعر مشهور ، أو انه يذكر شاعرا بنفسه ، أو ينهج نهج شاعر آخر ويحذو حذوه ، ومن ذلك قوله[55] مضمنا شطرا من بيت :

*إذا هبَّ ريّاه وجدت حقيقة* **" نسيم الصَّبا جاءت بريّا القرنفل[56]**

وقوله : [57]

**مثل هذا (.....) يقتلنـي " ثم لا أبكي على إثــره "[58]**

وقوله [59] مخمسا قصيد زهير بن أبي سلمى :

**أبيت فلا يساعدني عــزاء إذا ذكر الحسين وكربــلاء**

**فخل الوجد يفعل ما يشـاء لمثل هذا اليوم يدخر البكــاء**

**(عفا من آل فاطمة الجــواء)[60]**

وقوله [61] وقد أراد إثبات شاعريته ومقدرته في مجارات فحول الشعراء .

**وأروع ينسي البدر حسنا ورفعة فواضله لا تنتهي وفضائلــه**

**يسر بما يعطيك قبل سؤاله سرورك بالنيل الذي أنت نائلــه**

وقوله [62] يحذو حذو المتنبي وينهج نهجه في الإشادة بممدوحه؛ ليكسب وده ويصل الى مايرومه وينال عطاياه .

**إهنأ بها نعما في إثرها نعم وسر واسم وطل وجد ومدّ وصــل**

وقوله [63] يرثي ولده (محمد) ويظهر حزنه الشديد ولوعته لفراقه ، فيذكر الشاعرة الخنساء ، موازنا حاله بحالها عند فقدها لأخوتها :

**وما لوعة الخنساء شقّت صدرها وقدّت جيوب الصّبر حزنا على صخر**

ومما يؤكد عمق ثقافته الأدبية، وتمكنه من صنعة الشعر تعمده مجاراة فحول الشعراء ، ومعارضة قصائد مشهورة لهم تعد من غرر الشعر العربي ، فهو يعارض قصائد متعددة لشعراء مشارقة ومغاربة .

من ذلك معارضته قصيدة المتنبي التي يمدح فيها سيف الدولة الحمداني التي مطلعها [64]:

**أجاب دمعي وما الدّاعي سوى طلل دعا فلباه قبل الرّكب والابــل**

فيقول[65] الرندي معارضا إياه في قصيدة طولية مهنئا فيها الأمير (محمد الفقيه) ثاني أمراء مملكة غرناطة بولاية العهد .

**من الظِّباء تروع الأسد بالمقـل ومارمتها بغير الغنج والكحـل [66]**

ومنها معارضته لقصيدة إبن حمديس الصقلي في مدح المعتمد بن عباد التي مطلعها [67]:

**أنكرت سقم مذاب الجســد وهو من جنس عيون الخـرد**

فيقول [68]معارضا إياه في قصيدة يعتذر فيها للأمير (محمد الفقيه):

**ألثام شفّ عن ورد نــد أم غمام ضحكت عن بــرد**

ومن القصائد التي عارضها ملبيا رغبة أمراء بني الأحمر بعد أن نالت إعجابهم وطلبوا منه معارضتها ، قصيدة الشاعر " محمد بن هانئ الإلبيري" التي مطلعها[69]:

**أليلتنا إذ أرسلت واردا وحفـا وبتنا نرى الجوزاء في إذنها شنفا**

فقال [70] في معارضتها :

**أواصلتي يوما وهاجرتي ألفـا وصالك ما أحلى وهجرك ما أجفـا**

ومما يشير الى إطلاعه على تأريخ الأدب العربي وتبحره فيه ذكره لأسماء تداولها الشعراء وسارت على ألسنتهم ، وكان لها قصص مشهورة ، وقد قرن الشاعر حالات الأشخاص الذين تناولهم في شعره بتلك القصص ، ومنها قوله [71] يمدح أحد وزراء بني الأحمر ويصف كرمه الذي فاق كرم حاتم الطائي .

**تريك إرتياح القضب وهي نواعـم الى قصّةٍ ينسى بها ذكر حاتـم**

وقوله [72] مشبها حزنه على فقد ولده ( أبي بكر ) وتعلقه به بقصة من قصص الحب العربي :

**ولا وجد هند والأسى قد أذابهـا فماتت كا يروى غراما على بشـر**

***ثالثا : الأصول التأريخية***

يعد شعر الرندي مرآة تعكس ثقافته في التأريخ ، التي تمثلت بذكره لعدد من الأماكن التأريخية وتوظيفها لإعطاء دلالات يبتغيها في شعره ، فضلا عن ايراده اسماء القبائل العربية ، والأمم السالفة ، وذكره للمشاهير من العرب وغير العرب ، ومن ذلك قوله [73] في غرض الرثاء مستذكراً أماكن لها مكانتها في قلوب المسلمين طالما تشوق إليها الشعراء وتغنوا بذكرها :

**بكيت منازل الصّبر السـؤاة بمكة والمدينة والفــرات**

وقوله [74]في غرض الجهاديات ورثاء المدن :

**وأين ما شاده شدّاد فـي إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان**

**دهى الجزيرة أمر لآعزاء لـه هوى له أحد وانهدّ ثهـلان**

وقوله [75] يفتخر بالمسلمين من عرب المغرب المرينيين وغيرهم وهم يحملون السيوف الصوارم ويحثهم على الجهاد .

**وحاملين سيوف الهند مرهفـة كأنّها في ظلام النّقع نيــران**

ومن إيراده اسماء القبائل العربية والأمم السالفة قوله: [76]

**تزهى به لخم وساداتهـا وتنتمي قيس له في الفخـار**

فقوله يدل على معرفته بأنساب العرب ، ويومئ الى أن الممدوح الذي ينتمي الى الخزرج وهم من الأنصار ، هو مفخرة لهذه القبائل . ومن ذكره للأمم السالفة وللمشاهير من العرب وغيرهم قوله : [77]

**وأين ما حازه قارون من ذهـب وأين عاد وشداد وقحطـان**

وقوله: [78]

**دار الزّمان على دارا وقاتلـه وأمّ كسرى فما آواه إيـوان**

ومن ذكره للبلدان في النتف المتبقية من نثره قوله[79] يصف الأندلس: ( هي أخت الشام في خصبها وجلالها ، وضرة العراق في بهجتها وجمالها ) .

فالشاعر يوظف كل هذا الحشد من الأسماء والأماكن؛ لأخذ العبرة من الزائل منها ، ولكي تحدث صدى في نفس المتلقي وتثير في دواخله رغبة الإطلاع والمتابعة .

- **أنواع أخرى من الثقافة :**

ومنها الثقافة اللغوية ، فهي شائعة في شعره وتدل على تبحره في علوم العربية ، وتظهر مقدرته على ترويض مصطلحاتها واستعمالها كدلالات تخدم غرضه الشعري ، ومن ذلك قوله [80]:

**وإن غدا مضمرا عنا فأنت لـه كالنعت كالعطف كالتوكيد كالبـدل**

فالشاعر يرى أن الأمير " محمد الثاني " يحمل صفات الأمير المرثي " محمد بن يوسف الأول من كرم وشجاعه ورجاحة عقل الى غير ذلك من المحامد .

وقوله [81] في خاتمة قصيدة أهداها الى أحد وزراء بني الأحمر :

**عذراء قد بان فيها عذر حاسدهـا إذ غازل المدح فيها رقّة الغـزل**

ومن أنواع ثقافته الأخرى الفلكية ، ففي شعره إشارات كثيرة الى ما يدور في الكون من الكواكب والنجوم ، فقد ذكر أسماء عدد منها كالشمس والقمر والبدر والهلال والثريا ، كما ذكر عدداً من الأبراج السماوية ، وهذا النوع من الثقافة لايكاد يخلو منه غرض من أغراضه الشعرية، ومن ذلك قوله[82] من قصيدة يصف فيها الليل:

**كأنّ البدر تحت الغيم وجـه عليه من ملاحته لثـام**

**كأنّ الكوكب الدري كـأس وقد رق الزجاجة والمـدام**

**كأنّ مدار قطب بنات نعـش نديّ والنّجوم به نـدام**

**كأنّ بناته الكبرى جـوار جوار والسّهى فيها غـلام**

**كأنّ بناته الصّغرى جمـان على لبّاتها منه نظـام**

ومنها قوله[83] في المدح :

**إلى مقام جليل زاده شرفـا إذ حلّ فيه حلول الشّمس في زحل**

ومنها قوله [84] في الوصف :

**فما كان في عطف الخليج قلامةٌ وما كان في وجه الغدير فمغفر**

فالشاعر أطلق أسماء النجوم على الآزهار المنتشرة في الرياض عند تشبهه لها ، مما يدل على معرفته التامة بأسماء النجوم وصفاتها .

وقوله[85] في الرثاء :

**فان كنت نجما راع منه أفولـه فمالك لا تبدو مع الأنجم الزّهر**

كما تشكل الأمثال والألغاز رافدا من روافد الرندي الثقافية ، ومن ذلك قوله [86] في غرض المدح :

**بيمين ضمّنت بحر نـدى بين بحريه حياة المجتـدي**

فقول الشاعر مأخوذ من المثل ، " أندى من البحر "[87] ،وقوله [88]:

**ما جوابي لمن مدحت بشعري فجزاني جزاء وغد سفيـه**

**أترى علّة لذلـك إلا أنّني جبته بما ليس فيـه**

والمثل هو (من مدحته بما ليس فيه فقد بالغت في ذمه)، [89] وقوله : [90]

**وإن تكن طاشت الأحلام من جزع فليسبق العذر سبق السّيف للعذل**

والمثل هو " سبق السيف العذل"[91] وقوله [92] ملغزا بالأمثال :

**وما إبن له أمّ وليس لـه أب به المثل المضروب لاشكّ يضرب**

والمثل هو " إبن ذكاء "[93] وهي الشمس : ويعني " الصبح ". ومما يدل على سعة ثقافته ، وقدرته على الابتكار نظمه للألغاز نثرا ، بعد ما كان يطيل النظر في الموضوعات المهتمة بهذا النوع من النظم ، ومن منثوره في الألغاز قوله [94] ملغزا في السيف . (أخبر من أعزك الله ما واحد ثلاث ! ، ذكروك بما أنت رائع الغرة ، رائق الطرة ، مؤيد البنان كأنه إنسان ،كثير الإسأة والإحسان ، جوهر ذو حركة وسكون وعرض له ظهور وكمون ، إذا صحف أشهر أسمائه فشبيه بالجوزاء ، وإذا قلب وجزم ذلالا ماهو في الحقيقة الا قضيب نبت بغير ماء في غير أرض ولا سماء وذلك ان في السيوف ماهو في ثلاث طبقات ، اثنتان من هند بينهما حديد ، ومن أسمائه الصمصامة وهو مؤنث ، وأشهر أسمائه سيف ، وتصحيفه شنف ، وقد شبه ذلك بالجوزاء ، قال ابن هانئ : " وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا " ، وتصحيف مقلوب فيس ) .

وقوله [95] ملغّزا في الدرهم .

(ما عبد معبود ، موجود مفقود ، يهدي ويضل ويعزّ ويذل ، إنفردت أمه بأكله ، وإختلفت الآفاق في شكله ، ما رأيت قبله محبوبا يحرق ومجموعا يفرّق ، أقسم بجلال ربه ما يختلف اثنان في حبه ).

وقوله [96] ملغزا باسم ( حبيب ) .

( ما اسم على أربعة حروف بالحب معروف ؟ إذا حذف شطره الثاني ثم غير من الأول مبناه دلّ الثاني على مسماه دلالة كله على معناه ،وإن صحف وقلب تردد بين نقيضين ولم يزد على حرفين ).

**علاقته بأدباء عصره :**

لم يكن الرندي بعيدا عن أدباء عصره فقد كانت صلاته بهم قوية ولقاءاته موصوله يدلنا على ذلك ما أورده في كتابيه " الوافي في نظم القوافي " وروضة الأنس ونزهة النفس "، وقد أخبر ابن الزبير( ت 708هـ) وكان معاصرا له عند

لقائه بالشاعر في " مالقة" وإنشاد الرندي إياه الكثير من أشعاره، وأشار الى صلته بابن عبدالملك المراكشي (ت 703هـ) الذي اجازه بكتابة مارواه من منظومه ومنثوره، بعد ان طلب المراكشي منه اجازته ، فلبى رغبته وبعث بها اليه [97] كما أشار الى علاقته بالأدباء ابي بكر البرذعي وأبي القاسم بن الوزير ، وابي الحجاج بن الحقالة[98] وكان بينه وبين أدباء غرناطة والمغرب صلات ومناقشات ، منها ما ذكره في كتابه الوافي [99] مع صاحبه أبي العباس بن بلال الجزيري الذي كانت له مع الشاعر محاورات حول الآطراد من محاسن الشعر، ونقل مختارات من اشعار أصحابه ومعاصريه وتحدث عن مناقشات ومذاكرات بينه وبين بعض أدباء المغرب العربي ، وعرف بصداقته وصلته بهم مثل الفقيه أبي الربيع بن حبيب ، والفقيه ابي عمرو بن ابي العافية وابي الحجاج بن الشيخ المالقي. كما ذكر لقاءه بالشيخ ابي علي القصري وأورد أشعارا لجماعة من الصوفية أنشدوه اياها بغرناطة ،كما اورد قطعة لنفسه ، وذكر معارضا لها هو الكاتب ابو بكر بن النجار الإشبيلي[100].

**وفاته :**

عمَّر الرندي طويلا ، وتوفي في عام أربعة وثمانين وست مئة عن عمر يناهز الثالثة والثمانين عاما . قال إبن الخطيب[101] : " نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ ، أبي الحسن بن الحسين . قال : أنشدني الشيخ الراوية الأديب القاضي الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان المنتشافري ، قال أنشدني القاضي الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبي الحجاج ابن الحقالة ، قال انشدني الأديب ابو الطيب صالح بن ابي خالد يزيد بن صالح بن شريف الرندي لنفسه؛ ليكتب على قبره" :

**خليليَّ بالودِّ الذي بيننا اجعلا إذا متُّ قبري عرضة للتَّرحُّم**

**عسى مسلم يدنو فيدعو برحمةٍ فإنّي محتاج لدعوة مسلم**

**آثاره:**

صنّف الرنديُّ كتبا قيمة تدل على علو منزلته العلمية في عصره ، والمعروف من مؤلفاته سبعة فقط، وأكثرها مفقودة ولم يعرف عن مصيرها شيء، أهي مع الضائع من تراث الأندلس ،أم انها لم تزل محفوظة في رفوف المكتبات في أرجاء الوطن العربي والإسلامي ، ام هي في مكتبات العالم بأسره . اما بعضها الاخر فلم يزل مخطوطا .

وفيما يأتي تعريف بالموجود والمفقود من مؤلفاته .

**1. الوافي في نظم القوافي :**

بين ايدينا كتاب (الوافي في نظم القافي)، وهو كتاب لاحق بكتب البلاغة والنقد ولما يزل مخطوطا [102] وتوجد للكتاب أكثر من نسخة في اماكن متفرقة من العالم . قدم الرندي له بمقدمة أثنى فيها على الأدب عامة، ثم انتقل الى الشعر : ديوان العرب وإيوان الأدب، وهو" لامحالة محبوب بالطبع شهي للسّمع " . وهنا يرفع من مكانة الشعر، ثم يبين منهجه في الكتاب بقوله : " واوردت في كتابي هذا جملة كافية في صنعة الشعر لمن أحبّ أن يأخذ بإزاره ويطلع على اسراره، ويتفنن في بديعه ، ويتبين سقطه من رفيعه ، هذا وان كان من سلف قد سبق في هذا المضمار ، وكاد لا يبقي منه الا كتقدير الإضمار ، فأنت ترى كيف أتى سابق بما أدرك ثم جاء اللاحق فنقض واستدرك .. وربما بلغ المتأخر بشرف الإطلاع مالم يبلغ المتقدم بفضل الاختراع .. وسميت كتابي هذا بالوافي في نظم القوافي"[103]. وهو كتاب يهدف الى اعطاء فكرة عن فن النقد : فضلا عن تناوله جوانب مهمة من القضايا البلاغية والعروضية ، وتقديم أكبر قدر من المعلومات للقارئ عن صنعة الشعر ومحاسنه وأغراضه وعيوبه وما يستحب أن يكون فيه من ضروب البيان والبديع وغيرها . **روضة الأنس ونزهة النفس :**

لم اعثر على الكتاب ، غير اني اطلعت على نتف مبثوثه منه في بعض المصادر()، ويبدو انه كتاب في الثقافة العامة . فهو من الناحية الأدبية كتاب جامع ، لعيون الفنون والآداب والأخبار والفرائد والفوائد . وجعله في عشرين بابا :

الباب الأول : في العالم ومعالمه ، والثاني في الارض والبلاد ، والثالث في بدء البشر، والرابع في النبي ﷺ. والخامس في الخلفاء وأهل البيت. والسادس في الدولة الأموية . والسابع في الدولة العباسية . والثامن في اهل الردة والخوارج. والتاسع في جمل من الفتوح والعاشر في لمع من.... والحادي عشر في الحرب . والثاني عشر في الملك والرئاسة والثالث عشر في العلم . والرابع عشر في الشعر . والخامس عشر في المال . والسادس عشر في النساء والبنين . والسابع عشر في الناس والزمن . والثامن عشر في.. والتاسع عشر في الحكايات،والباب الموفي عشرين : في الحكم والمواعظ .

والرندي في كتابه هذا ناقل للمعلومات وله الفضل في ترتيبها وتصنيفها ، وضم الاجزاء المتماثلة الى بعضها ، وكان يبتغي من ذلك إفادة القراء في روايته للأخبار. وقد نقل من مصادر مهمة عرف ببعضها وهو يتحدث في أجزاء الكتاب ، مثل كتاب ( الملل والأهواء والنحل) لآبن حزم ، و( مروج الذهب ) للمسعودي ، وكتاب (زهر الآداب ) لأبي اسحاق القيرواني ومغازي الواقدي ، ونص على النقل من ابن اسحاق في السيرة ، وغيرها من المصادر. والموجود من الكتاب هو الجزء الأول وقد رفعه الرندي الى الأمير النصري محمد الثاني وطرزه باسمه [104].

2. **ديوان شعره** : وهو مفقود ، وقد كان مدونا الى عهد ابن عبدالملك المراكشي (ت 703هـ) ،ولكن اشعاره مبثوثه في كتبه الباقية ، وكتب التراجم وكتب الأدب ولاسيما الاندلسي .
3. **مؤلف في العروض** [105]، وهو مفقود .
4. **مختصر في الفرائض وأعمالها** [106].
5. **جزء على حديث جبريل** (عليه السلام)[107].
6. **وله مقامات في أغراض شتى** [108]، وهي مفقوده .

وقال إبن الزبير ( ت 708هـ) : وله تأليف أدبية وقصائد زهدية ، وعنده مشاركة في الحساب [109].

7. **رسائله ونثره**:

فقد وصلنا منه ما ذكره في كتابيه (الوافي) و(روضة الأنس)، والمتمثل بخطبه التي قدم بها لهذه الكتب ، وفي معالجته للقضايا النقدية في كتابه الوافي ومناقشته للمسائل المختلفة في " الروضة ، وبعض رسائله المبثوثه فيها ومنها نقول في كتاب (الإحاطة)[110].فقد وصلت الينا رسالتان من رسائله التي كتبها . احداهما موجهة الى أرباب نعمته وهم أمراء بني نصر، وإن لم تكن له مهمة كتابية سلطانية عندهم كما جاء في أخباره . والاخرى يرد فيها على رسالة لأحد اصحابه سبق ان بعث بها اليه . ومما جاء في رسالته الأولى التي كتبها من مدينته (رندة) بعث بها الى الأمير محمد الفقيه ثاني ملوك غرناطة ، معزيا بوفاة والده ، ومهنئا بتسنمه السلطة [111]، قال:" فإن خديم المقام الكريم المتمسك بعروته ، المعتصم عند الشدائد بحبوته ابن شريف . كتبه من رندة – حرسها الله – عن روع مروع ، وفؤاد مصدوع . تقطع فاستحال نجيعا ، وجرى فصار مع الدموع دموعا . الخطب الفادح . والملم القادح . والرزء الذي طاشت له الأحلام ، وفجع فيه ألاسلام . بوفاة مولانا الملك الهمام الأوحد، الأرفع الأمجد ، المجاهد الأرضى الأسعد المقدس المرحوم ابي عبدالله أمير المسلمين وناصر الدين كرم الله مثواه ، ونفعه بما أولاه فقد كان للعدل إماما ، وللدين قواما ، وللملك تاجا وحساما . وذكر بعده أرّجه، فلطالما جاهد في الله حق جهاده ، وأجهد نفسه النفيسة في إجتهاده . يسهر لتنام العيون ، ويصل الحركات ليتصل السكون ، ويعد للحادث ولعله لا

يكون". وفيها يبدأ الأديب بمدح الامير، ومن ثم يصور المصاب الأليم بوفاة والده على انه الخطب الفادح الذي عم الناس بالحزن وزلزل قلوبهم اسى وحزنا. وفي مقدمة من اصابه ذلك المصاب الرندي وكأنه هو المفجوع ، ثم يذكر الفقيد ويعدد صفاته ويتغنى بمآثره العالية الرفيعة ، وبعدها يثني على الابن، فيشيد بحسبه ونسبه وكرمه وإقدامه ، ويدعوه الى الصبر والتجلّد . والرسالة جمعت بين المديح والتعازي ، وكانت غايته التودد والتقرب للأمير الجديد. أما رسالته الثانية ، فغايتها التعزية وموضوعها الفكاهة ، ويصف الرندي فيها بيع جارية في سوق مغربي، ويرد على رسالة مشابهة كان قد بعث بها اليه الفقيه أبو بكر البرذعي من أهل بلده ( ويعني رُندة ) يصف فيها مروره بالسوق ورؤيته لجارية جميلة تباع اشتراها شاب موسر مِمّا أحزنه كثيرا ، ويتبع الرندي طريقة الحوار في الرد على هذه الرسالة .ومن رسالته المسجوعة هذه قوله [112]: " فأجبته : نعم نعم ، أنعم الله بالك ، ونسى آمالك ، أنا بحول الله أرتادُ ذلك ، من نحو هاتِيك ، ما يسليك ويؤتيك، وإلا فبيضا كاللجين ، هل القلب والعين زهرة غُصن في روضة حسن ، ذات ذوائب ، كأنها الليل على نهار ، أو بنفسج في بهار ، لها وجه أبهى من الغنى، وأشهى من نيل المنى، [113]:

أحدهما: الأسلوب المنمق المثقل بضروب البديع ، الآخذ بالسجع والتفصيل والتغصين وأسلوبه هذا يظهر في رسالته الاولى وفي مقدمات كتابيه " الوافي " والروضة .والاسلوب الآخر: سهل مرسل تخفف الرندي فيه من القيود والمحسنات ، ونجده في رسالته الثانية ، وفي معالجته لقضاياه النقدية في " الوافي " ومناقشته لمسائله المختلفة في " روضة الأنس ". وقد أجاد الرندي في كلا الأسلوبين ، فهو يميل الى البساطة والوضوح والسهولة، ويعرض الفكرة مفصلة بعيدا عن التعقيد والايجاز . هذا مجمل ما توصلت لمعرفته من مؤلفات الشاعر، وإن كان وللأسف اكثرها من المفقود ،ولو كانت موجودة لأماطت لنا الكثير من الغموض الذي يلف حياة الشاعر وعصره، وعموما فان المتبقي من هذه المؤلفات ، يدل على عبقرية الرندي وسعة علمه وعلو مكانته بين أدباء عصره ، وتؤكد من جانب آخر تقدم الحركة الفكرية في القرن السابع الهجري . أما طريقته في رسائله فإنه يبدأ الرسالة بمقدمة يشير فيها الى مقام المكتوب اليه ويعرض فيها فكرته الأساسية، ثم يعرض موضوعه الرئيس، ثم ينهي رسالته بما يتلاءم ومقام المخاطب وصلته به كقوله[114]: "والسلام على سيدي ، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، والمداعبة من شيم الظرفاء، ورحمة الله وبركاته ".

والرندي تقليدي في أسلوبه فهو قد اتبع الأسلوب الذي كان سائدا في عصره وهو اسلوب السجع الشبيه بالشعر المنثور . فكان يختار اللفظة الحسنة ذات الايقاع والجرس الملائم ، وانه يميل الى الاطناب لتأكيد المعنى ، والاقتباس من الذكر الحكيم ، كما في قوله [115]: " ذكر أهل البحث والنظر أن الارض مطبقة على مركز العالم ثابتة في جوف الهواء ، وهو محيط بها وبما عليها من البحار لا يمسكها ماسك الا الحكمة الربانية والقدرة الالهية كما قال الله عز وجل ﴿إن الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا ﴾ [116]. كما

انه يضمن رسائله شعرا من نظمه ،كقوله : " فما الجزع على فقيد أعد لرحيله ، ثم مضى لسبيله وافدا على باب الكريم ، حسن الظن بالرب الرحيم . والله يجمل صبر المولى وعزاءه – ويجعل الأمر إزاءه . وهو سبحانه يطيل بقاءه ، يجعل السعد وفاءه بمنه وكتبت مع ذلك :

**ما جلّ خطب كمثل الحادث الجلل فليقض حقّ الأسى بالأدمع الهمل**

**مصاب من فجع الإسلام فيه ومن سكّ المسامع منه هُدّة الجبـل**

كما يضمنها الحكم والامثال وشعرا لغيره ؛ تأكيدا لفكرته وتحلية للنص وتجميلا له كقوله [117]: " لكني أقول كما قال بعض الحكماء ، لا ينبغي لمن قلبه رقيق ، أن يدخل سوق الرقيق ، إلا أن يكون قد جمع بين الكمال والجمال يتنافس في العالي ، ويسترخص بالثمن الغالي ، ولا يبالي بما قال الأئمة ، إذا وجد من يلائمه ،كما قال الشاعر .

**ما انتفاع المحبّ بالمـال إذا لم يتوصّل به لوصل الحبيـب**

**إنّما ينبغي بحكم الهـوى أن ينفق المال في صلاح القلـوب**

**مكانته وآراء النقاد في شعره :**

احتل الرندي مكانة مرموقة بين أدباء عصره ، وحظي باهتمام المتأخرين عنه من الأدباء والنقاد. ونال استحسان معاصريه " مؤكدين سمو شأنه وعلو مكانته العلمية . فمن المعاصرين له ابن الزبير( ت 708هـ) الذي التقاه ، وذكر انه كانت لهما مجالس شعرية سمع فيها الكثير من شعره ونثره فقال فيه: " شاعر مجيد في المدح والغزل[118]". ومن معاصريه ابن عبدالملك المراكشي ( ت 703هـ) ، الذي طلب إجازة الرندي في رواية ما الفه نظما ونثرا، فلبى رغبته وبعث بها اليه ، فقد أكد براعته مشيدا بحسن تصرفه في منظوم الكلام ومنثوره ، مقدما له فضله في النظم ، واصفا اياه بقوله : " وكان خاتمة الأدباء بالأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره[119]". وقد أشاد الأدباء والمؤرخون من غير معاصريه بمكانته وشعره، ومنهم الأديب لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ) الذي اشاد بشاعريته وشعره مؤكدا وفرة نظمه ، وفصاحة لسانه إذ قال في شعره : " وهو كثير ، سهل المأخذ، عذب اللفظ ، رائق المعنى ، غير مؤثر للجزالة[120]" . واسبغ عليه المقري التلمساني ( ت 1041هـ) في كتابيه أزهار الرياض ، ونفح الطيب، صفات كثيرة . فقد وصفه " بالامام العالم ، والأديب العلامة خاتمة أدباء الاندلس[121]" وأنه كان " متفننا في النثر والنظم [122]".أما ابن خلدون فقد وضع اسمه الى جانب كبار الأدباء الذين قال فيهم انهم احتفظوا بملكة اللسان، وكانوا اهل الصناعة في هذه الملكة[123]. وقيل في وصف قصائده ومقطوعاته الشعرية بأنها تتدفق في كلماتها " عذوبة الفاظ وسهولة معان ، وصنعة وبديعا "[124].

ومن النقاد المحدثين الدكتور محمد عبدالله عنان الذي ابدى اعجابه بالشاعر وبشاعريته قائلا فيه : " وكان أديبا شاعرا جزلا"[125].

وكان الدكتور محمد رضوان الدايه من اكثر المعنيين بالشاعر فقد قال عنه انه : " شاعر مكثر ، غزير الانتاج ، سهل العطاء، حاضر البديهة [126]". وقد قلل بعض النقاد من شاعريته بقولهم انه " لم يكن شاعرا ذا موهبة ، إنما كان " علامة عالما"[127]". وأشاد الدكتور حسين نصر بمكانه الرندي وبنتاجه الشعري فقال[128]: " أحد أبرز شعراء القرن الهجري السابع فنا واسلوبا ولغة وصورا بلاغية وقيمة أدبية". والحقيقة ان الرندي بشاعريته العالية كان قد طرق جميع أغراض الشعر المعروفة، وهو من الشعراء القلائل الذين استمروا بنفس عال في صياغة الشعر ، وقد انفرد بقصائد تعد من عيون الشعر الإسلامي ، لما عرف عنها من صدق الإحساس وحرارة التعبير ولا سيما غرض الجهاديات ورثاء المدن، ويعد شعره وثيقة من وثائق التأريخ لما حفظه من أحداث وقعت في عصره.

## الهوامش

([1]) وردت (ابن ابي شريف ) في لرندي وكتابه الوافي في نظم القوافي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، عبد الله كنون، مدريد، المجلد السادس، العدد (2-1): 1.

([2]) الإحاطة، لسان الدين بن الخطيب : 3 / 360.

([3]) ذكر فؤاد افرام انه شاعر أندلسي متأخر من أبناء القرن التاسع الهجري . تنظر : دائرة المعارف، فؤاد افرام البنتاني، بيروت ، 1962م، 4 / 205.

([4]) الوافي في نظم القوافي ( النسخة المشرقية ) ، 74.

([5]) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،د. مصطفى الشكعه ، ط5،دار العلم للملايين ، 1983، 548.

([6]) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط1 ، مطبعة السعادة – مصر ، 1949، 232/5.

([7]) الوافي في نظم القوافي : (النسخة المشرقية) : 1 .

([8]) الذيل والتكملة : ابن عبدالملك المراكشي ، تحقيق ، د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، 4/ 137، وأزهار الرياض، 1 / 47 ، والإحاطة، 3 / 360.

([9]) الرندي وكتابه الوافي في نظم القوافي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، عبد الله كنون، مدريد، المجلد السادس، العدد (2-1)، 212.

([10]) ابو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ،د. محمد رضوان الداية ، 34،ط1،مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1976.

([11]) شعر أبي البقاء الرندي، جمعه وحققه على أصول مخطوطة ومطبوعة د. إنقاذ عطا الله محسن العاني، مجلة الأستاذ ، العدد الخامس والعشرون ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد-كلية التربية / ابن رشد ،2002م :732.

([12]) الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية ، لآبن أبي زرع الفاسي ، نشر محمد بن ابي شنب ، مطبعة – جول كربونل – الجزائر ، 1920م : 127 .

([13]) الإحاطة ، 3 / 375.

([14]) صحيفة معهد الدراسات ، 6 / 216 .

([15]) المرجع نفسه، 216/6.

([16]) المصدر نفسه ، 70 .

([17]) معجم البلدان : شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت الحموي، دار صادر –1957م، 73/3.

([18]) رحلة الأندلس : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة ، 1963م، 250

([19]) الآثار الأندلسية الباقية ، محمد عبدالله عنان ، الطبعة الأولى – مطبعة مصر – القاهرة، 207.

([20]) صحيفة معهد الدراسات ، 6 / 225.

([21]) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الأمير شكيب أرسلان ،مكتبة الحياة – بيروت، 548/3.

([22]) شعر أبي البقاء الرندي، 705 .

([23]) المرجع نفسه :704.

([24]) الذخيرة السنية ، 127 .

([25]) شعر أبي البقاء الرندي، 691.

([26]) الإحاطة ،3 / 375 .

([27]) شعر أبي البقاء الرندي، 691.

([28]) المرجع نفسه ، 691 .

([29]) دراسات أندلسية في الأدب والتأريخ والفلسفة ،د. الطاهر أحمد مكي ، مطبعة دار المعارف – مصر، 1980م، 375 .

([30]) الإحاطة ، 3 / 360.

([31]) الذيل والتكملة ، 4 / 137 .

([32]) الوافي ( النسخة الأندلسية ) ، 1 .

([33]) الإحاطة، 3 / 361.

([34]) شعر أبي البقاء الرندي، 738.

([35]) المرجع نفسه ، 735.

([36]) الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، 137 .

([37]) الوافي ( النسخة المشرقية ) ، 1 .

([38]) صلة الصلة : أبو جعفر بن الزبير ،138 ترجمة رقم (1937) .

([39]) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتباكي ، نسخة مصورة ، 6 / 60.

([40]) الذيل والتكملة ، السفر الخامس – القسم الأول ، 323- 325 وما بعدها .

([41]) المصدر نفسه ، 4 / 137 ، والإحاطة ، 3 / 360 .

([42]) المصدر نفسه ، السفر الخامس ، 138.

([43]) الذيل والتكملة ، 4 / 137.

([44]) شعر أبي البقاء الرندي، 721.

([45]) اقتبس الشاعر صدر البيت الاول وعجز البيت الثاني من سورة الزلزلة ، الآيتان ( 1 -2 ) ، قوله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها (*) وأخرجت الأرض أثقالها﴾ .

([46]) شعر أبي البقاء الرندي ، 740.

([47]) سورة الرحمن ، الآية ، (256) .

([48]) شعر أبي البقاء الرندي،731.

([49]) سورة البقرة ، الآية ، (256).

([50]) شعر أبي البقاء الرندي، 712.

([51]) سورة يس ، الآية ، (39) .

([52]) شعر أبي البقاء الرندي، 739.

([53]) شعر أبي البقاء الرندي، 687، وقوله مأخوذ من سياق حديث الرسول ﷺ : ( دع مايُرِيبُكَ الى ما لايُرِيبك )، والبيت يمثل تأثر بالحديث الشريف ولكنه يحمل عكس مضمونه، ينظر : سنن الترمذي، للأمام محمد بن عيسى الترمذي ، ضبط وتصحيح ، عبدالرحمن محمد عثمان ؛ 4 ، 77.

([54]) شعر أبي البقاء الرندي، 704، من سياق الحديث النبوي الشريف ، ( يأتي زَمانٌ على النَّاس الصابرُ فيهم على دينهِ كالقابضِ على الجمَّر) ، ينظر سنن الترمذي ،4 / 526 .

([55]) شعر أبي البقاء الرندي، 728.

([56])عجز البيت مأخوذ من قول أمرئ القيس :

**إذا التفتت نحوي تضوّع ريحها نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل**

ينظر : ديوان أمرئ القيس ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف – مصر،ط1، 1969م، 15.

([57]) شعر أبي البقاء الرندي، 709.

([58]) عجز البيت مأخوذ من قول أمرئ القيس

**وخليل قد أفارقــه ثم ثم لا أبكي على إثـره**

ينظر : ديوان أمرئ القيس ، 123.

([59]) شعر أبي البقاء الرندي، 739.

([60]) العجز مأخوذ من قول زهير بن أبي سلمى.

**عفا من آل فاطمة الجـواء فيمن فالقوادم فالحسـاء**

ينظر : ديوان زهيربن ابي سلمى، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر – بيروت ، 1960م، 7.

([61]) شعر أبي البقاء الرندي، 720، والشاعر يجاري بيت زهير بن ابي سلمى :

**تراه إذا ماجئته متهلّلا كأنك تعطيه الذي أنت سائله**

ينظر : العمدة لابن رشيق القيراوني، شرح وفهرسة د. صلاح الدين الهواري، أ- هدى عودة ، ط1، دار مكتبة الهلال – بيروت ، 1996م، 209/2.

([62]) شعر أبي البقاء الرندي، 723 ، وقد إتكأ على قول المتنبي .

أقل أنل اقطع أحمل علّ سلّ أعد * زدهشّ بشّ تفضّل أدن سرّ صل .ينظر شرح ديوان المتنبي وضعه عبدالرحمن البرقوقي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان، 209/3.

([63]) شعر أبي البقاء الرندي، 704.

([64]) ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ، ضبطه وصححه ، مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي – مصر – 1971، 66/3.

([65]) شعر أبي البقاء الرندي، 721.

([67]) ديوان ابن حمديس ، 138.

([68]) شعر أبي البقاء الرندي، 697.

([69]) المصدر نفسه ، 438.

([70]) الإحاطة ، 3/ 364.

([71]) شعر أبي البقاء الرندي، 734 .

([72]) المرجع نفسه ، 704.

([73]) المرجع نفسه، 741 .

([74]) المرجع نفسه، 736 .

([75]) شعر أبي البقاء الرندي، 736.

([76]) المرجع نفسه، 712.

([77]) المرجع نفسه، 736 .

([78]) شعر أبي البقاء الرندي، 736.

([79]) أبو البقاء ، 149.

([80]) شعر أبي البقاء الرندي، 724.

([81]) المرجع نفسه، 726.

([82]) شعر أبي البقاء الرندي، 730.

([83]) المرجع نفسه، 726.

([84]) المرجع نفسه، 702 .

([85]) المصدر نفسه ، 704.

([86]) المصدر نفسه ، 697.

([87]) مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ،ط2 ، دار الجيل – بيروت، 1987م، 3 / 414.

([88]) شعر أبي البقاء الرندي، 741.

([89]) المرجع نفسه ، 723.

([90]) المرجع نفسه ، 690.

([91]) جمهرة الأمثال : لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، عبدالحميد قطامش، المؤسسة العربية للطبع والنشر والتوزيع ، الفجاله – القاهرة ، 1964م، 40/1.

([92]) الوافي ( النسخة المشرقية ) 88.

([93]) جمهرة الامثال ، 1 / 40.

([94]) الوافي ( النسخة المشرقية ) ، 89 .

([95]) المصدر نفسه ، 89 .

([96]) المصدر نفسه ، 89.

([97]) الذيل والتكملة ، 4 / 137.

([98]) الإحاطة ، 3 / 373 - 375.

([99]) الوافي ( النسخة المشرقية ) ، 74.

([100]) المصدر نفسه، 73.

([101]) شعر أبي البقاء الرندي، 735.

([102]) المصدر نفسه : 680 .

([103]) الوافي ، ( النسخة المشرقية ) ، 2.

([104]) نهاية الاندلس ، 439 .

([105]) الذيل والتكملة ، 4 / 137 .

([106]) المصدر نفسه ، 4 / 137 .

([107]) الإحاطة : 3 / 360.

([108]) الذيل والتكملة ، 4 / 137 .

([109]) الإحاطة ، 3 / 360.

([110]) المصدر نفسه ، 3 / 373 -375 .

([111]) الوافي ، ( النسخة المشرقية ) ، 34.

([112]) الإحاطة ، 3 / 374.

([113]) أبو البقاء ، 106 .

([114]) شعر أبي البقاء الرندي، 723.

([115]) ابو البقاء، 108.

([116])سورة فاطر ،الآية (41).

([117]) الإحاطة ، 3 / 375.

([118]) ا المصدر نفسه ، 3/ 360.

([119]) الذيل والتكملة ، 4 / 137 .

([120]) الإحاطة ، 3 / 361.

([121]) أزهار الرياض ، 1 / 47 .

([122]) نفح الطيب ، 4 / 486 .

([123]) : مقدمة تاريخ ابن خلدون ، م1 ، 1090 .

([124]) صحيفة معهد الدراسات ، 6/ 218 .

([125]) نهاية الأندلس ، 438 .

([126]) ابو البقاء ، 52.

([127]) المنهل في الأدب العربي / العصر العباسي والأندلسي : علي جواد الطاهر – عبدالرضا صادق – عبدالغفار الحبوبي ، مطبعة المعارف – بغداد ، 1962م، 198.

([128]) الشعر في غرناطة في عصر بني الأحمر : حسين أسعد نصر ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد، 1983 م، 336.